

تحليل الخطاب الاحتجاجي

جرافيتي ثورة تشرين نموذجًا

Analysis of the protest discourse

Graffiti of the October Revolution as a model

إسلام سمير إبراهيم العزّاوي

Islam Samir Ibrahim Al-Azzawi

Master's researcher

Department of Arabic Language

الكلية: كلية الآداب والعلوم – جامعة قطر Qatar University Arts and Sciences

ملخص باللغة العربية

يهدف البحث إلى تحليل الخطاب الاحتجاجي، متخذاً من جرافيتي ثورة تشرين في العراق عام 2019م نموذجاً للدراسة، باعتباره شكلاً من أشكال الخطاب الاحتجاجي على غرار مقارنة نورمان فيركليف Norman Fairclough (1914-الآن) التي أسسها بأبعاد ثلاثة؛ فالرسومات والعبارات جاءت متخمة بالدلالات الضمنية والصريحة التي تحتاج إلى دراسة أهم الظروف الخارجية التي أدت إلى إنتاج هذا الفن، ثم تفكيك أهم الظواهر والتفاعلات الخطابية، بالإضافة إلى رصد أبرز الاستجابات المرتبطة بالجرافيتي، لاكتشاف الدلالات التي أراد الشعب العراقي إيصالها للمتلقي.

ملخص باللغة الإنجليزية

The research aims to analyze protest discourse, taking the October Revolution graffiti in Iraq in 2019 as a case study. It is considered as a form of protest discourse, following Norman Fairclough's approach, who believes the text should be analyzed through three dimensions. The drawings and phrases are filled with implicit and explicit meanings that require studying the important external conditions that led to the production of this art. Additionally, it involves deconstructing significant discourse phenomena and interactions, as well as observing the prominent responses associated with graffiti, in order to discover

the intended messages conveyed by the Iraqi people to the recipients.

■ المقدمة:

هذه دراسة متواضعة تحاول الكشف عن إمكانات الجرافيتي - كشكل من أشكال الخطاب الاحتجاجي- في إيصال الأفكار إلى المتلقي على غرار مقاربة نورمان فيركليف Norman Fairclough (1914- الآن) التي أسسها بأبعاد ثلاثة.

■ مشكلة البحث:

بات فن الجرافيتي شكلًا جديدًا من أشكال الخطاب الاحتجاجي لدى الشعب العراقي؛ للتعبير عن مطالبه المشروعة ورفض الواقع المعيشي السيئ منذ ست عشرة سنة حتى عام 2019م، بالإضافة إلى توثيق أحداث الثورة على جدران النفق في بغداد، فكان للرسومات معنى ورسالة أراد الشعب إيصالها للسلطة والعالم، مما يدعو إلى التساؤل حول الموضوع كآلاتي:

- 1- ما مفهوم (تحليل الخطاب، الاحتجاج، جرافيتي، ثورة تشرين)؟
- 2- ما الظروف الخارجية التي أدت إلى إنتاج الجرافيتي؟
- 3- ما الظواهر والتفاعلات الخطابية الأكثر تكرارًا في رسومات الجرافيتي؟ وعلام تدل؟
- 4- ما هي أبرز الاستجابات المرتبطة بالجرافيتي؟



النفق قبل فن الجرافيتي النفق بعد الجرافيتي

■ فرضيات البحث:

تحاول هذه الورقة التحقق من الفرضيات التالية:

- 1- تحليل الخطاب يعني تفكيك موضوع ما إلى أبسط أجزائه. والاحتجاج يعني طريقة لرفض شيء غير مرغوب. أما الجرافيتي فهو فن يستخدم على جدران الشوارع، و**ثورة تشرين** تعني انتفاضة الشعب في أكتوبر عام 2019م.
- 2- وفيما يخص الظروف الخارجية فقد يكون أبرزها سوء الأحوال الاقتصادية والاجتماعية في العراق.

3- من الظواهر الأكثر تكرارًا في الجرافيتي هو العلم العراقي.

4- من أبرز الاستجابات هي تلبية السلطة لمطالب الشعب.

■ أهمية البحث وهدفه:

تكمن أهمية هذه الورقة البحثية كونها نظرة تحليلية على جرافيتي ثورة تشرين في العراق عام 2019م، باعتباره شكلًا من أشكال الخطاب الاحتجاجي على غرار مقاربة نورمان فيركليف التي أسسها بأبعاد ثلاثة؛ فالرسومات والعبارات جاءت متخمة بالدلالات الضمنية والصريحة التي تحتاج إلى دراسة أهم الظروف الخارجية التي أدت إلى إنتاج هذا الفن، ثم تفكيك أهم الظواهر والتفاعلات الخطابية، بالإضافة إلى رصد أبرز الاستجابات المرتبطة بالجرافيتي، لاكتشاف الدلالات التي أراد الشعب العراقي إيصالها للمتلقي.

■ الدراسات السابقة:

إنّ الدراسات التي اعتنت بموضوع رسوم الجرافيتي التي أُنتجت في ظل الثورات كثيرة وقيمة، وتحاول الباحثة هنا تقديم بضع دراسات اقترنت من الموضوع مجال البحث كما يلي:

1. دراسة نادين بكداش، وعبير سقسوق، ورنا جربوع (2012) بعنوان: "الغرافيتي في الثورات العربية : المصالحة مع الجدران"

هدفت الدراسة إلى تحليل طبيعة لغة الجرافيتي ومناقشة حركة رسوم الجرافيتي في ثلاث مدن عربية: تونس والقاهرة ودرعا وتناول خلفية سريعة لرسوم الجرافيتي في بيروت، والرياض، والبحرين، والإسكندرية.

2. دراسة سارة عوض، وبرادي واجنر، وفلاد بيتر جليفيو (2017) بعنوان: " The Street Art of Resistance"

هدفت الدراسة إلى بيان العلاقة المتبادلة بين المقاومة (كأداة فنية إبداعية) للفنانين الثوريين، والسلطة، والتغيير الاجتماعي في مصر أثناء ثورة يناير لعام 2011م، بالإضافة إلى متابعة مراحل ظهور وتطور الكتابة على الجدران ضمن السياق الاجتماعي في مصر، وكذلك استجابات السلطة وعامة الناس.

3. دراسة سمر ممدوح (2019) بعنوان: "الجرافيتي كأداة احتجاج سياسي : ثورة يناير نموذجًا"

هدفت الدراسة إلى مناقشة فن الجرافيتي وعلاقته في التعبير عن الأحداث السياسية وتوثيقها، إضافة إلى مناقشة أثر العولمة والتقدم التكنولوجي في ابتكار أساليب احتجاج جديدة.

4. مقالة شفاء محمد عبدالله العزاوي، وفليح ماضي السامرائي (2020) بعنوان: "فن الرسم الجرافيتي في المدن العربية: تحليل سيميائي للغة البصرية لجداريات بغداد لثورة 25 تشرين" هدفت المقالة إلى تحديد العناصر المرئية للجرافيتي باستخدام إطار التواصل السيميائي والبصري مثل: اللون، والرموز، والعلامات، والنصوص، والصور المرئية، والطريقة التي تدل بها على معانٍ متنوعة.

وتوصل المقال إلى عدة نتائج مفادها أن:

- الثقافة البصرية واللغة البصرية تلعبان دورًا حاسمًا في إعادة تعريف المشهد العام العربي.
- الجرافيتي يحمل موضوعات مختلفة مثل: رفض التدخل للقوة الأجنبية، وإظهار الإحساس بالانتماء للأمة الواحدة، والمطالبة بالحقوق المسلوبة.

■ التعليق على الدراسات السابقة:

بتأمل موضوعات الدراسات السابقة ونتائجها - التي تمكنت الباحثة من الاطلاع عليها - تجد أنها تتفق مع الدراسة الحالية في موضوع الجرافيتي أو فيما يُعرف بالكتابة على الجدران التي قام برسمها الشعب احتجاجًا على واقع بلده السيئ. وتختلف تلك الدراسات في أنها عبارة عن سرد معلومات عن الجرافيتي في دولة معينة أو عدة دول، بينما تتميز الدراسة الحالية عنها كونها تتطرق إلى الموضوع من زاوية لم يسبق التطرق إليها فيما يلي:

1- التركيز على جرافيتي ثورة تشرين عام 2019م في العراق، إذ تتدر الدراسات المحكمة حول جرافيتي ثورة تشرين.

2- تقوم الورقة بتحليل رسوم الجرافيتي من خلال ثلاثة أبعاد خطابية، وذلك بدراسة الظروف التي أدت إلى الرسم على الجدران، ثم تحليل الظواهر والتفاعلات الأكثر تكرارًا من بين الجرافيتي، وأخيرًا رصد الاستجابات المترتبة على ظهور الجرافيتي.

■ حدود الدراسة:

- الحدود الموضوعية: تحليل الخطاب الاحتجاجي المتمثل في جرافيتي ثورة تشرين.
- الحدود المكانية: ساحة التحرير والنفق في بغداد.
- الحدود الزمنية: التركيز على شهر تشرين / أكتوبر عام 2019م، وسيتم ذكر أبرز الأحداث خلال الأعوام التي سبقت الثورة؛ ولذلك لمعرفة الظروف التي أدت إلى قيام الشعب باستخدام الجرافيتي لمخاطبة السلطة والعالم.

■ منهجية البحث:

اعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي باعتباره الأنسب للموضوع.

■ الإطار النظري: مصطلحات البحث:

1. أولاً: مفهوم تحليل الخطاب Discourse Analysis:

يتكون المركب الاسمي من كلمتين؛ الأولى تحليل: مضاف إلى ما بعده، والثانية الخطاب: مضاف إليه ما قبله. والسطور التالية توضح معنى المفهومين.

1.1 التحليل Analysis:

التحليل مصدر على وزن تفعيل من الفعل حَلَّ بتضعيف الألف (السامرائي، 2013، ص79-80)

ويدل على تفكيك الشيء إلى أجزائه الدقيقة.

وبالرجوع إلى مادة (حَلَّ) فإنها تعني الفتح؛ لأنَّ حَلَّ العقدة ويحلُّها أي: فتحها وفكَّها (ابن منظور، د.ت، ص143) فانفرطت إلى قطعها الأولى ومكوناتها الجزئية، وهو بعكس الربط.

قال تعالى: {وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي} (طه:27) وحلَّ العقدة هنا يعني فكَّها.

وتتوافق معاني المفهوم العربي مع الإنجليزي؛ ف Analysis تعني الفكُّ والنقسم والتقطيع، وكذلك الفحص الدقيق لأي شيء مُعَقَّد إلى عناصر بسيطة (موقع أكسفورد، معنى كلمة Analysis، OxfordLearnersDictionaries.com).

تحليل الخطاب الاحتجاجي جر افيتي ثورة تشرين نموذجًا

أما اصطلاحًا فهو تقسيم بنية النص إلى وحداته الأساسية، ووظيفة كل وحدة منها (بوقرة، 2009 ، ص96)، "وينبني على الشرح، والتفسير، والتأويل، والسعي إلى جعل النص واضحًا جليًا" (الزياني، 2017، ص407).

2.1 الخطاب Discourse:

الخطاب مصدر على وزن فعال (السامرائي، 2013، ص80) من الفعل خاطَبَ المريد بحرف الألف (السامرائي، 2013، ص21 و35)، ويدل على التشارك بين اثنين فأكثر، بأن يفعل أحدهما بصاحبه فعلاً فيقابلة الآخر بمثله (السامرائي، 2013، ص30)، ما يعني أن للخطاب طرفين اثنين؛ فيكون الأول متكلماً ليلقي خطابه إلى مستمع، ثم يقابله المستمع بخطاب آخر كرد فعل على خطابه.

وبالرجوع إلى مادة (خَطَبَ) فقد توصلت الباحثة إلى أنها تشير إلى ثلاثة مصطلحات:

الأول: الخطاب ويعني: الرسالة (ابن منظور، د.ت، ص1194)/(الفراهيدي، د.ت، ص222) المكتوبة إلى شخص محدد أو مجموعة أشخاص. كقول أحدهم: بَعَثْتُ خُطَابًا عاجلاً.

الثاني: الخُطْبَة وتعني: الحديث أو الكلام اللفظي ومراجعته (ابن منظور، د.ت، ص1194)/(الفراهيدي، د.ت، ص222). وقيل: إِنَّ الخُطْبَة هي الكلامُ المنتثر المُسَجَّع (ابن منظور، د.ت، ص1195).

قال تعالى: {وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا} (الفرقان، 63)، وخطَبَ تعني كَلَّمَ (الطبري، د.ت، ص265).

الثالث: المُخَاطَبَة وتعني: توجيه الكلام إلى المُقَابِل بقصد إفهامه وإقناعه والتأثير فيه (الزمخشري، 1998، ص403). قال تعالى: {وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخُطَابَ} (ص:20). من الملاحظ في الآية الكريمة قد توسعت دائرة المعنى إلى المحاوراة والقدرة على الإقناع والتأثير بالإضافة إلى الحكمة.

والخطاب يقابل المفهوم الإنجليزي Discourse ويعود أصله إلى المفهوم اللاتيني discurrō الذي يعني "اركض بعيداً" للإحالة إلى معنى مجازي وهو "الانتقال سريعاً من موضوع إلى آخر"، ثم تطوّرت الدلالة لتشير إلى "مناقشة أو معالجة موضوعٍ ما في خطاب رسمي أو كتابي" (موقع

Online Etymology Dictionary، تأصيل كلمة Discourse، [discourse | by](#)، [\(etymonline\)](#).

بناءً على ما سبق تستنتج الباحثة أنّ الحوار يُسمّى مخاطبة إذا كان كلاماً بين اثنين فأكثر، أو مناقشة إذا كان الكلام يدور حول نقاشٍ في أمر ما، أو مُباحثة إذا كان الكلام في بحثٍ ما، أو مُشاورة إذا كان موضوع الكلام التشاور في قضية ما، وهكذا.

أما اصطلاحاً فقد ظهر هذا المفهوم في ستينيات وسبعينيات القرن العشرين في إنجلترا وفرنسا، إذ كانتا أرضاً خصبة لميلاده، فتعددت مفاهيمه وتعريفاته بحسب منطلقات الباحثين (ميلز، 2016، ص13).

ومن أهم التعريفات الاصطلاحية لمفهوم الخطاب -من وجهة نظر الباحثة- الآتي:

- عرّفه اللساني الفرنسي بنفنيست Émile Benveniste (1902-1976) بأنّه : "كلّ تلفظ يفترض متكلماً ومستمعاً، وعند الأول هدف التأثير على الثاني بطريقة ما" (يقطين، 2005، ص19).

- وعند الفيلسوف الفرنسي بول ريكور Paul Ricoeur (1913-2005) هو عبارة عن تواصل المتكلم والمستمع؛ حيث يخضع الأول لعوامل سياقية منها نفسية واجتماعية تساعده على ترتيب مقاصده ضمناً أو صراحة؛ لتصل فكرته إلى الثاني (راشدي، 2013، ص7-8).

- وقد تمكّن الفيلسوف الفرنسي ميشيل فوكو Michel Foucault (1926-1984) من الإلمام بمفهوم الخطاب من جميع زواياه، حين ذكر أنه "يشمل كل إنتاج ذهني، سواء أكان نثرًا أو شعراً، منطوقاً أم مكتوباً، فردياً كان أو جماعياً، ذاتياً أم مؤسسياً، وبذلك فالخطاب يعد شبكة معقدة من النظم الاجتماعية والسياسية والثقافية التي تبرز فيها كفاءات إنتاج الكلام كخطاب" (بوقرة، 2006، ص234).

- وبحسب رأي الفيلسوف الفرنسي تودورف T. Todorov (1939-2017) فهو "أدب منطوق، أو فعل كلامي، يفترض وجود راوٍ ومستمع، وعند الأول نية التأثير في الآخر" (الحربي، 2000، ص39).

تحليل الخطاب الاحتجاجي جرافيتي ثورة تشرين نموذجًا

- عرّفه اللساني المغربي أحمد المتوكل (1944-الآن) بمعناه الواسع أنّه "كل إنتاج لغوي يربط فيه ربط تبعية بين بنيته الداخلية وظروفه المقامية"(المتوكل، 2001، ص16).

يبدو أن التعريفات السابقة تتفق على أن الخطاب بحاجة إلى طرفين؛ الأول متكلم والثاني مستمع، فيرسل الأول رسالته على شكل إنتاج ذهني أو لغوي أو فني بحسب ما تقتضيه الظروف المقامية، بهدف التأثير في الثاني، وإقناعه بفكرة معينة.

1.2.1 دراسة تحليل الخطاب:

لقد عُرِفَت الدراسات اللغوية -سابقًا- بتعدد الدلالات؛ فالجملة الواحدة تَحْمِلُ دلالات عدّة؛ نتيجة لقضايا تتعلق بالصوت، والصرف، والنحو، والمعجم وغيرها، ولا يمكن للمتلقي أن يبصر الدلالة الحقيقة فيقع في اللبس(خالفي، 2011، ص26). لكن ظهور لسانيات التلفظ Linguistics والتداولية pragmatic -في خمسينيات القرن العشرين- ساهم في تناول تحليل الخطاب بأساليب دقيقة.

وقد ذكر اللغوي الأمريكي هاريس Zellig S. Harris (1909-1992) -واضع هذا المصطلح- أنه عبارة عن وحدة لسانية أكبر من الجملة الواحدة(مكدونيل، 2001، ص30) وتشتمل على عناصر مميزة ومترابطة من الجمل التي تحتاج إلى تفكيك ذلك الترابط؛ من أجل الكشف عن العلاقات الدلالية أو الشفرات اللغوية Codes التي تجمع بينها(الشاوش، 2001، ص618)، وذلك من خلال بُعْدَيْن اثنين(الشاوش، 2001، ص27):

1. النصّ Text: بدراسة بنية الخطاب الداخلية المكوّنة من المفردات Word،

والتراكيب Syntax، والجمل Sentences.

2. السياق Context: بدراسة الظروف الخارجية، والمؤثرات المباشرة، والمقاصد غير المباشرة،

والخلفيات الفكرية، بالإضافة إلى العناصر المقامية Position التي أنتج فيها الخطاب

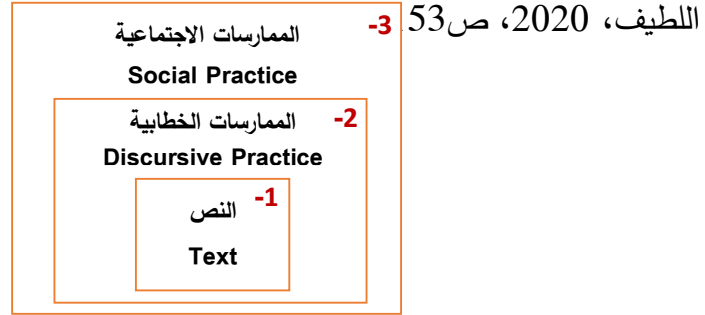
اجتماعيًا أو أيديولوجيًا، فضلًا عما يحدده من توصيف تبعًا للنقاط الأربع الآتية(الريامي،

2019، ص1409):

• الموضوع، فأى خطاب له موضوعه الذي يختص بحقل من الحقول المعرفية، فعلى

سبيل المثال: عند الحديث عن (الصلاة) فالخطاب ينتمي إلى الموضوعات الدينية.

- الفئة الاجتماعية التي صدر عنها، مثلاً: خطاب العمال workers Discourse.
 - نوع الخطاب، مثل: الخطاب الصحفي Press Discourse.
 - الوظيفة التي يقوم بها، كالخطاب الاحتجاجي Protest Discourse.
- ومن ثم طرح فيركلف مقاربتة للحدث الخطابي على مستويات ثلاثة، وكل مستوى يمثل التحليل من زاوية مختلفة، يمكن توضيحها في الشكل الآتي (فيركلف، 2016، ص46) (عبد



شكل (1) أبعاد الحدث الخطابي عند فيركلف

- 1- المستوى الأول: يمثل تحليل النص، ويدرس الملامح اللغوية المكوّنة للخطاب.
- 2- والمستوى الثاني: يمثل تحليل الممارسات الخطابية للخطاب بوصفه شيئاً يُنتج ويوزع ويستهلك.
- 3- أما المستوى الثالث: فيمثل تحليل الممارسات الاجتماعية ويدرس العلامات اللغوية وغير اللغوية لمتلقي الخطاب في سياق تلقيه الفعلي.

2. ثانياً: مفهوم الاحتجاج Protest:

الاحتجاج مصدر على وزن افتعال (السامرائي، 2013، ص80) المشتق من الفعل احتجّ (السامرائي، 2013، ص21 و35) ويدل على الاعتراض والاستنكار والسخط.

ويشير المفهوم الإنجليزي Protest إلى "التعبير عن كراهية شديدة أو معارضة لشيء ما" (موقع أكسفورد، معنى كلمة Protest، protest|OxfordLearnersDictionaries.com).

ومن معانيه الاصطلاحية التي توصلت إليها الباحثة ما يلي:

تحليل الخطاب الاحتجاجي جرافيتي ثورة تشرين نموذجًا

- طريقة سلمية للتعبير عن رأي جماعة أو حزب سياسي أو شخص، ويكون عادةً في منطقة ذات شهرة واسعة لتوصيل الصوت إلى أغلب شرائح المجتمع (عبد النور، 2014، ص10).
- أحد وسائل التعبير وإبداء الرأي الأربعة المتمثلة في وسائل فردية ووسائل جماعية ووسائل شفوية وأخرى مكتوبة، وهي وسائل رغم ما يبدو عليها من انفصال إلا أنها تتداخل فيما بينها، بحيث يتم الجمع بين التعبير الشفهي أو التصويري، وذلك بالإضافة إلى أن الاحتجاج يتم مصحوبًا بهذه الوسائل التعبيرية في الشارع العام، في شكل وقفة أو اعتصام أو مسيرة أو تجمع خطابي، على مرأى ومسمع ممن حضره (عبد النور، 2014، ص12).
- بناءً على ما سبق فيمكن للباحثة تعريفه على أنه: عملية سلمية يقوم بها فرد أو مجموعة من الأفراد باستخدام الهتافات أو رفع الشعارات والصور أو استخدام الأدوات السلمية للتعبير عن رفضهم أو اعتراضهم على سياسة أو ممارسة أو قرار معين، ويُنظَّم في ساحات عامة أو مكان محدد لجذب الانتباه إلى القضية المراد الاحتجاج عليها.

3. ثالثاً: مفهوم الجرافيتي Graffiti :

تتكون كلمة Graffiti من مقطعين : الأول Graff ويعني الأشكال أو النقوش أو الرسوم، والمقطع الثاني iti ويعني التواقيع المشفرة التي تُشكِّل رسومات وكتابات ملونة، ويأتي أصل كلمة جرافيتي من كلمة Graphein اليونانية المرادفة لـ يكتب Writing (سليم، 2012، ص77).

والفعل في جملة مثل: يكتب فلان على جدران المنازل، يُقصد به: الرسومات، والكتابة، ويسمى أيضاً التوقيع Hand style (موقع أكسفورد، كلمة graffiti، | [graffiti](https://www.oxfordlearnersdictionaries.com/) | [OxfordLearnersDictionaries.com](https://www.oxfordlearnersdictionaries.com/)).

وقيل يعود أصلها إلى كلمة Graffito الإيطالية؛ حيث ذكرها وبستر Webster في قاموسه أنها كلمة إيطالية استُعملت لأول مرة عام 1851م للتعبير عن الخربشة، أو الكتابة، أو الرسم، أو النقوش على حجارة الآثار القديمة وجدرانها، إذ يجتهد العلماء في دراستها وتحليلها (موقع وبستر، كلمة Graffito، [Webster \(merriam-webster.com\)](https://www.merriam-webster.com/dictionary/Graffito)).

بناءً على ما سبق يمكن القول إن الجرافيتي لفظة تُعبّر عن الأعمال الفنية التي تجمع بين الرسم والكتابة على الجدران الخاصة أو العامة باستخدام أدوات معينة مثل بخاخ دهان وغيرها؛

لإيصال رسائل سياسية أو اجتماعية ضمنية وقد تكون مسكوت عنها إلى المتلقي فردًا كان أو جماعة.

1.3 نشأة فن الجرافيتي:

لقد نشأ هذا الفن في الستينيات من القرن الماضي؛ للتعبير عن موسيقا الهيب هوب على جدران مدينة نيو يورك New York، وأحاط بهذا الفن الكثير من المفاهيم الخاطئة؛ حيث اعتقد كثيرون أنه عبارة عن خريشات غير مفهومة، وعمل تخريبي لا يمت للفن بصلة، وأن ثقافة الرسم والكتابة على الجدران حكرًا على العصابات (موقع ريفرسو كونتاكت، كلمة graffiti، [graffiti - | Reverso Context](http://graffiti-ReversoContext.com)).

ولعل هذا الاعتقاد ينطبق على جزء بسيط منه سابقًا، لكنه أصبح يعبر -منذ بدايات القرن الحادي والعشرين- عن الذات والأفكار بصورة شديدة الإبداع والابتكار، تعكس حسًا فنيًا عاليًا وذوقًا مميزًا، مما يدعو إلى دراسته وفهم أبعاده (مدونة هيفاء علي، 2011، اتجاهات معاصرة: الفن الجرافيتي، haifaali.blogspot.com).

2.3 الجرافيتي كأداة احتجاجي:

ثم بدأ هذا الفن بالانتشار في الدول العربية بشكل عام وفي العراق بشكل خاص، حيث ظهرت محاولات فردية ومبادرات شبابية للرسم على الجدران والحواجز الكونكريتية التي كانت تعزل شوارع بغداد عن بعضها أثناء الحرب الطائفية عام 2006م وما بعدها؛ بغية استغلال هذه المساحات من الجدران برسوم هادفة بدلًا من الشعارات الطائفية أو الإعلانات الانتخابية في ذلك الوقت (موقع جريدة المدى، 2016، غرافيتي في شوارع بغداد للتعريف برموز الثقافة العراقية، almadapaper.net).

وسرعان ما اتخذ الجرافيتي أداة احتجاج الشعوب العربية في وجه السلطة بديلاً عن الهتافات والكليشيات وذلك أثناء ثورات الربيع العربي عام 2010م وما بعدها. وفي ثورة تشرين عام 2019م اتخذ الفنانون والفنانات من الشباب العراقي جدران نفق بغداد وسيلة للتعبير عن أحداث الثورة، والمطالب المشروعة، والواقع السياسي والاجتماعي في البلد، فضلًا عن توثيق طرق القمع التي واجهها الشعب.

4. رابعًا: مفهوم ثورة تشرين October revolution :

1.4 الثورة Revolution:

الثورة اسم مرة على وزن فَعَلَة (السامرائي، 2013، ص84) المشتق من الفعل ثار (السامرائي، 2013، ص21 و35) ويدل على حدوث الشيء مرة واحدة.

ومن معانيه (داود، 2013، ص67):

- ضجة تحصل بسبب أمر ما.
- تغيير جذري على مستوى المجتمع يقوم به الشعب في دولة ما.
- انتفاضة وتمرد يطيح بحكم ما باستعمال القوة، ويُعوّض الحكم القديم بحكم جديد، وقد يقوم بتغيير النظام الاجتماعي برمّته.

هذا التعريف يتوافق مع تعريف المفهوم الإنجليزي Revolution، إذ عرّفه معجم أكسفورد بـ: "محاولة من قبل عدد كبير من الناس لتغيير حكومة بلد وخاصة عن طريق العمل العنيف" أو "تغيير كبير في الظروف وطرق العمل والمعتقدات وغيرها يؤثر على أعداد كبيرة من الناس" (موقع أكسفورد، معنى كلمة Revolution، [revolution | OxfordLearnersDictionaries.com](https://www.oxfordlearnersdictionaries.com/definition/english/revolution)).

1.4 ثورة تشرين في العراق:

أما ثورة تشرين فتعرفها الباحثة على أنها: انتفاضة سلمية بدأت في الأول من تشرين/أكتوبر عام 2019م، قام بها الشعب العراقي احتجاجاً على الأوضاع السياسية والمعيشية السيئة منذ عام 2003م.

■ الإطار التطبيقي:

سيتم تحليل الخطاب الاحتجاجي المتمثل في جرافيتي ثورة تشرين عام 2019م، باعتماد مقارنة فيركليف التي أسسها على ثلاثة أبعاد كما هو موضح في السطور التالية:

البُعد الأول : دراسة الظروف الاجتماعية المؤدية لإنتاج الجرافيتي:

ثورة تشرين عام 2019م ليست المرة الأولى التي يثور فيها الشعب العراقي على فساد السلطة، حيث تكررت شرارة الغضب، وانتفاضة الشعب، ورفضه لسوء الأحوال الاقتصادية والمعيشية، متمسكون بالسلمية حلاً، ومن العلم العراقي والورد أداة، ومن أصواتهم غاية، ومن محافظات العراق مكاناً.

فقبل ثلاث سنوات من بداية ثورة تشرين، انتفض الشعب عام 2015م في بغداد والمحافظات مثل الناصرية والنجف والبصرة؛ بسبب تردي الخدمات، برفع الأعلام والورود، للدلالة على أن الشعب يريد حقه في الحياة الكريمة، دون اللجوء إلى الشغب أو التخريب، فضلاً عن رفع شعارات منها "باسم الدين سرقونا الحرامية"؛ للمطالبة بمحاسبة قاسم الفهداوي وزير الكهرباء سابقاً وإقالته، وبتخفيض رواتب المسؤولين. فبدأت السلطة بالتشكيك في المظاهرات والتحذير من "المندسين" ومخربي البلد، واستُخدمت مع المتظاهرين أبشع الطرق منها الضرب، والاختطاف، والإطلاقات النارية العشوائية، ومرشات المياه شديدة الحرارة، والقنابل الغازية المسيلة للدموع؛ لإنهاء المظاهرات بالقوة (موقع قناة الجزيرة، 2015، [مظاهرات العراق.. ثورة على دولة المحاصصة \(aljazeera.net\)](http://aljazeera.net)).

ثم بعد سنة أي عام 2016م ظهر النائب مشعان الجبوري -أحد أعضاء هيئة النزاهة في ذلك الوقت- في برنامج ساعة حوار على قناة الاتجاه؛ للحديث عن تداعيات جلسة استجواب وزير الدفاع في مجلس النواب، فأكد الجبوري أن كل السياسيين لهم دور في الفساد، إذ أصبح الفساد أمر وارد وطبيعي، ويقومون بالسرقة ويتقاضون الرشوة لإغلاق الملفات، ما أدى إلى دمار البلاد، ولن يتمكن أحد من إقامة دعاوى ضد البرلمانين؛ فكل من يقيم دعاوى أو يفتح الملفات ستخطفه السلطة. بعد هذه الاعترافات التي أدلى بها النائب الجبوري، لم يتحرك رئيس الوزراء في ذلك الوقت حيدر العبادي لمحاسبة الفاسدين وتغيير الوضع الاقتصادي والمعيشي في البلد (قناة الاتجاه على اليوتيوب، 2016، [مشعان الجبوري: كلنا فاسدون YouTube -](https://www.youtube.com/watch?v=...)).

فانتفض الشعب مرة أخرى من نفس العام، لنفس الأسباب والمطالب والخدمات التي تزداد سوءاً عاماً بعد عام، وبنفس الأسلوب السلمي، والجديد هذه المرة المطالبة بالإسراع في تشكيل السلطة الجديدة التي دعا للتصويت على تشكيلها سليم الجبوري رئيس مجلس النواب السابق، لكنه لم يستطع تشكيلها بسبب اعتصام النواب لإقالته (موقع قناة BBC عربي، 2016، [مظاهرات حاشدة في بغداد وترقب جلسة حاسمة في البرلمان](http://www.bbc.com/arabic/iraq-38484848)).

بعد ذلك انتفض الشعب في عام 2017م؛ لإصلاح قانون الانتخابات، وهذه المرة حاولوا العبور إلى المنطقة الخضراء، فواجهتهم القوات الأمنية بنفس الطرق البشعة (موقع BBC عربي، 2018، [الآلاف يتدفقون إلى شوارع بغداد ومدن الجنوب](http://www.bbc.com/arabic/iraq-38484848)).

تحليل الخطاب الاحتجاجي جرافيتي ثورة تشرين نموذجًا

استمر هذا الوضع المتردي، فعاد الشعب إلى الساحات في بغداد وبقية المحافظات في عام 2018م؛ للمطالبة بحقوقه وتوفير فرص العمل له، لكن القوات الأمنية واجهته بنفس الطرق البشعة؛ لتفريق صفوفه بالقوة، فأبدى حيدر العبادي مساندته للمظاهرات بتشكيل خلية أزمة لتلبية المطالب (موقع BBC عربي، 2018، [الآلاف يتدفقون إلى شوارع بغداد ومدن الجنوب](#)).

وفي بداية عام 2019م نما الوعي من شعور الشعب أنه ليس مواطنًا عراقيًا ودون هوية، حيث صرح أحد المواطنين بأن المشكلة ليست الكهرباء أو المياه وإنما "الوطن"؛ فلا أحد يشعر بأنه عراقي، ومواطن آخر لا يريد سوى "الوطن". فأصبح الشعب يطالب بإسقاط النظام كليًا وإرجاع الوطن للعراقيين وسيتكفل العراقيون بحمايته وإعمارهم (موقع يوتيوب، 2019، [المشكلة مشكلة وطن مسألة وطن العراق ينتفض YouTube -](#)).

فاتفق الشعب -عبر وسائل التواصل الاجتماعي- على الاحتجاج السلمي يوم الثلاثاء بتاريخ 1 تشرين من نفس العام في ساحة التحرير. ثم خرج قليل من المتظاهرين الساعة 12:00 ظهر الثلاثاء، وأملهم بتغيير الواقع.

ومع مرور الأيام تحشد الشعب، مرددًا شعارات عدة منها: "الشعب يريد إسقاط النظام" و"شلع قلع كلهم حرامية" و"تموت عشرة نموت مية مانعوف إصلاحنا لحد المنية" و"هيهات من الذلة" و"إيران برة برة بغداد تبقى حرة" و"أخوان سنة وشيعة هذا الوطن منبيعه"، "سلمية سلمية... سلمية... سلمية"، "بالروح بالدم نفديك يا عراق" و"عار عليكم أيها الطغاة تقتلون شعبًا في المظاهرات".

فقابلتهم القوات الأمنية بنفس الأساليب من إطلاقات عشوائية ودهس متعمد وقنابل مسيلة للدموع، بالإضافة إلى قطع الإنترنت، لتبدأ مواجهة غير متكافئة طرفها الأول شعب أعزل يحتج باستخدام أدوات سلمية، والثاني قوات أمنية مسلحة (موقع DW عربية، 2019، [العراق. تواصل المظاهرات أخبار DW عربية](#))، فانتشر مقطع فيديو لشاب يرفع العلم العراقي عاليًا، مواجهًا الإطلاقات العشوائية قائلاً: "عادي عادي أموت شهيد ولا مذلول" (موقع يوتيوب، 2019، [صرخة أحد أبطال العراق أموت شهيد ولا مذلول](#)).

البُعد الثاني: دراسة تشكيلات الجرافيتي وتركيبه أثناء ثورة تشرين:

فكر الشعب باستخدام أداة أكثر سلمية؛ لإيصال خطابهم للسلطة والعالم بشكل مختلف عن السابق؛ فرشاة وألوان وأصباغ ودهانات؛ للرسم على جدران نفق بغداد، فشغل خطابهم الاحتجاجي رسائل تحمل مضموناً سياسياً واجتماعياً. وهذا البعد يُحدّد حزمة من ظواهر الجرافيتي والتفاعلات الخطابية والاجتماعية الأكثر تكراراً كما يلي:

1- الموضوع الرئيس والفرعي:

كثرت في رسومات الجرافيتي كلمات مثل: وطن، حرية، ارحل، أمريكا، إيران، الحكومة وهذه الكلمات تختص بالخطاب السياسي حصراً.

ولعل الموضوع الرئيس للجرافيتي هو (البحث عن وطن) والفرعي يتلخص في (إسقاط الأحزاب المعادية للوطن)، مبتعدين عن ذكر الموضوعات المسكوت عنها أو الضمنيّات implicatures مثل استعمال ألفاظ الشتم للرموز الاجتماعية أو الدينية في الجرافيتي.

وقد غلب على الرسومات والكلمات مثل: وطن، حرية، ارحل اللون الأحمر ثم الأخضر يليه الأسود والأبيض، وهذه تمثل ألوان العلم العراقي.

يدل اللون الأحمر على القوة والغضب والطاقة فيجذب انتباه أعين المارة، والأخضر يدل على الطبيعة والنمو والتجديد، الأصفر يدل على السعادة والتفاؤل، والأزرق يدل على الاستقرار والهدوء، أما الأبيض فيدل على الصفاء والبراءة والبساطة (طانيوس، 2010، ص 7-9 و 35-40)/(عبيد، 2013، ص 41-50)، وهذا التنسيق والتكرار في اختيار الألوان الباردة والحارة لإعطاء الخطاب روحاً وإحساساً بغية إيصاله للسلطة والعالم، أن الشعب ينتمي لهذا الوطن، ولكي يُظهر الشعب غضبه تجاه السلطة، جنباً إلى جنب مع أمله في عراق يحيطه الأمن



2- مستويات اللغة المستخدمة في الجرافيتي:

تتكون الخطابات المعاصرة من هجين لغوي Linguistic Hybridity وهو سمة مميزة للنصوص متعددة الثقافات (Mazraani, 1997, p34)/(عبداللطيف، 2020، ص 168)، وهذا

تحليل الخطاب الاحتجاجي جرافيتي ثورة تشرين نموذجًا

ما يُلاحظ في رسومات الجرافيتي، حيث ركّز الشباب على كتابة مجموعة من الشعارات جنبًا إلى جنب مع الرسومات، باستخدام مستويين من مستويات اللغة هما: المزج اللغوي Diglossia بين مستوى الفصحى والعامية الدارجة، وتحويل الشفرة اللغوية Code-Switching بين العامية الدارجة ولغة أجنبية؛ ليكون للخطاب عمقه ومعناه المؤثر في المتلقين، ويساهم في تأسيس صورة معينة للمخاطب (الشباب الذين قاموا بفن الجرافيتي) وعلاقته بالجمهور المخاطب (الثوار العراقيين والسلطة والعالم).

استُخدمت ظاهرة المزج اللغوي في كثير من الجرافيتي منها: "الشباب لن يكل يا دجلة الخير" وهذه العبارة تدل على صمود الشعب وعدم يأسه، وتحتها عبارة توضح شخصية العراقيين المجبولة على المرح والفكاهة "صباح الخير أبو الشغب"، وفي الجانب الأيسر من الحائط شارع في أعلاه كلمة "الشغب" وأسفلها ضحكة وفي نهاية الشارع "الثوار" للدلالة على أن العراقيين لا يهابون الشغب، وثباتهم على موقفهم، وإيمانهم بقضيتهم التي خرجوا من أجلها، وسيُعبون "شرطة مكافحة الشغب" بسلميتهم رغم استخدام الشغب لأبشع وسائل القمع.

أما ظاهرة تحويل الشفرة اللغوية فيمكن ملاحظتها في جداريات منها: شخص يرتدي قناعًا يحميه من القنابل المسيلة للدموع وتعلوه عبارة "في القلب شيء لا تقتله البنادق إنه الوطن" ونون الوطن تنبض للوطن تنبض للعالم أجمع أداة مؤذية.



3- طرق الأداء في ساحة التحرير:

ساهم الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي بتوثيق جميع المشاهد والأحداث وهيئة الثوار وحركاتهم وأصواتهم في ساحة التحرير، في مقابل ما تفعله قوات الشغب من وسائل عنف مفرط، فضلًا عن توثيق الثوار للأحداث وإرسالها عبر حساباتهم في وسائل التواصل الاجتماعي،

وتسليط الضوء على الانتهاكات البشعة التي تعرض لها الثوار بالصور والفيديوهات المباشرة والمسجلة، وظهور هاشتاغات مؤيدة للثورة مثل: نازل آخذ حقي، نريد وطن وغيرهما. إن أداء الثوار في ساحة التحرير يشبه أدوار المسلمين في الغزوات سابقاً، حيث لعب المسلمون أدواراً بارزة أثناء الغزوات منها : القيادة، والتخطيط، والدفاع، والإرشاد، والتوجيه، وتوفير الإمداد والدعم من طعام وشراب، ومعدات، وإسعافات أولية، وغيرها. يمكن إطلاق مسمى غزوة أحد على هذه الثورة بغض النظر عن انعدام التكافؤ بين ثوار سلميين يطالبون بحقوقهم، في مقابل قوات شغب تستخدم السلاح، إلا أن الأدوار سابقة الذكر كانت متواجدة بشكل واضح بين الثوار. وسيتم توضيح الأدوار في السطور التالية.

هذا مبنى "المطعم التركي" القريب من ساحة التحرير استخدمته القوات الأمنية سابقاً لقمع المتظاهرين؛ نظراً لقربه من بوابة المنطقة الخضراء، فأبى ثوار تشرين إلا أن يثبتوا في طوابقه، فبات يُعرف بينهم باسم "جبل أحد"، وأصبح بمثابة برج مراقبة وأيقونة من أيقونات الثورة؛ يعلقوا عليه لافتات تحمل عبارات تشجيعية، وصور شهداء الثورة (موقع قناة RT العربية، 2019، [ما قصة](#)



وَحَدَّ الثوار صفوفهم؛ لمواجهة وسائل القمع بسلاميتهم. أجسامهم هزيلة لكن إرادتهم قوية، وقلوبهم صلبة لا تخشى الموت. بعضهم يغطي وجهه بخرقه أو لثام أو قناع؛ لحماية نفسه من الغازات السامة، وبعضهم الآخر لا يهتم بالغازات فلا يغطي وجهه، ويرتدون ملابس بسيطة؛ تيشيرت وبنطال، وبعضهم يرتدي البنطال فقط ويظهر الجزء العلوي من جسمه، ومنهم من يحمل حقيبة على ظهره ومنهم دونها. وبأيديهم أو على رقابهم جميعاً علم العراق، وحركاتهم المتناغمة تدل على وعيهم وحبهم لوطنهم؛ يركض بعضهم نحو القنبلة الغازية دون خوف ليلقوها بيده ويعيد رميها على قوات الشغب، وفي مشهد شبيه قد أمسك أحد الثوار القنبلة بأسنانه مؤكداً على أنه لا يهاب الموت، وقد قام الشباب برسم جرافيتي له في النفق. وللحفاظ على أنفسهم من الوسائل القمعية المؤذية يقومون بالكر والفر والقفز والدوران.

تحليل الخطاب الاحتجاجي جر افيتي ثورة تشرين نموذجًا

تتعاون مجموعة أخرى على إخماد الدّخانيات؛ برش الماء عليها وتغطيتها بالقمع المروري، حامدين الله تعالى على أنها لم تصب أحدًا منهم. ومن الطرائف أن الثوار رغم ما يحصل يلعبون بالقبلة وكأنها كرة قدم أو كرة سلة.



والبعض الآخر يقوم بتنظيف السارح من محتلفات العنابيل والرصاص، ومسح الدماء، وآخرون يقومون بمساعدة الثوار الذين تأثروا بالقنابل المسيلة للدموع؛ بسكب المياه الغازية على وجوههم وأعينهم، مرددين بأعلى من صوت الرصاص هتافات في جو ملبد بالسواد ذكرت في سطور سابقة.



في الجهة المقابلة القريبة من الساحة متطوعون ومتطوعات من الكادر الطبي، مهمتهم تضميد جراح المصابين، وتشجيعهم للبقاء على قيد الحياة بكلمات مثل: "سبع، بطل، أبو الغيرة، عفية". وعندما تكون حالة أحد المتظاهرين خطرة، والدماء تنزف منه، يتزاحم أصحاب السيارات الصغيرة "التكتك"؛ لنيل شرف نقل المصاب إلى المستشفيات تطوعًا، وحسبهم الأجر عند الله تعالى، ثم يقوم الشباب برسم جرافيتي يوثق الحدث الاحتجاجي في النفق.



4- استخدام التوازي الصوتي بين المصالحات

والآخر Representation:

استعمل الشباب في الجرافيتي التوازي الصوتي استعمالًا وافيًا ودقيقًا؛ لإيصال فكرة للعالم عن الذات (الشعب العراقي) في مقابل الآخر (قوات مكافحة الشغب والسلطة) باستعمال ضمير (نحن) في مقابل (أنتم) ضمنيًا في سعي منهم لبناء تمثيلات إيجابية للذات والجماعة في مقابل

الآخر، وهذا ما يُلاحظ بين كلمة شغب يميناً بمواجهة شعب يساراً، وتوضيح ما يفعله كل منهما في الوطن.

فهذا جسر الجمهورية باللون الأخضر، الجزء الأيمن منه Dark Side أو الجانب القاتم والمرعب يمثله (أنتم / شغب) ونقطة الغين تسيل منها الدماء، لتحمل إحالة إشارية واضحة إلى ما تفعله قوات الشغب عند استخدام آلات قمعية متنوعة، بهدف حصد أرواح العراقيين وإسالة دمائهم وهذا ما يدل عليه العلم الأسود الذي تتوسطه جمجمة، وتريد من سماء العراق أن تكون رمادية وملبدة بغمامات الدُّخانيات الخانقة.

أما الجانب الأيسر ف(نحن / شعب) نريد العيش بأمان وسلام تحت سماء جميلة مشرقة وصافية، وترفرف حمامة السلام وبمنقارها علم العراق وتطير به مع باقي الحمامات، وينعم أهله بالخير، متحدون تحت راية الله أكبر؛ فالوطن فوق كل اعتبار، وتسير التكتك فوق الجسر للدلالة على تمجيد أفعال أصحابها الإنسانية في مساعدة الثوار وإسعافهم، وقد صبغ الثوار الرصيف ووضعوا أمام حائط (الشعب) أصيصاً لزهور متنوعة؛ لأن غايتهم ازدهار الوطن وارتقائه ورؤية عراقهم جميلاً كما يروونه بأعينهم.



5- إضفاء الطابع البطولي للطبقة المهمشة (أصحاب التكتك والمرأة العراقية):

عند تسليط نظرية الصراع الطبقي للفيلسوف الألماني كارل ماركس Karl Marx (1818-1883) على الوضع الاجتماعي الحاصل في العراق، نجد أن الصراع يحدث بين طبقتين، هما (WOLFF، 2003، [Karl Marx \(Stanford Encyclopedia of Philosophy\)](#)):

1- الطبقة البرجوازية Bourgeois Class وتمثل السلطة المتحكمة بأغلب الثروات والوسائل.

2- طبقة البروليتاريا Proletariat Class وينتمي إليها أفراد المجتمع العراقي من العمال والفقراء وهم غالبية الشعب ومنها تندرج الطبقة المهمشة Marginalized Class.

تحليل الخطاب الاحتجاجي جرافيتي ثورة تشرين نموذجًا

فستخدم الطبقة البرجوازية الإكراه الإيديولوجي لاضطهاد طبقة البروليتاريا وإرضائها للقبول بالظروف الحالية (جونزالس، د.ت، ص19).

فأصبح الثوار يؤسطرون legend الطبقة المهمشة، فلا تكاد رسمة تخلو من التكتك أو المرأة العراقية. حيث برز الدور الوطني لأصحاب التكتك في الثورة، ولذا قُدرت جهودهم وسُطرت أدوارهم على جدران النفق، وصاروا بعيون الشعب بطل خارق (سوبر مان)، سيارته تحمل علم العراق للدلالة على انتمائه لهذا الوطن، ووظيفته (إسعاف التحرير) ومساعدة الثوار؛ للوصول بأسرع وقت إلى المستشفيات دون مقابل مادي. وعلى يمين البطل عبارة باللون الأحمر (نريد وطن) وعلى يساره كلمة (سلمية) تعلوها وردة فواحة للتأكيد على مطلبهم بإعادة الوطن للعراقيين وعلى حالة الثورة، بالرغم من مواجهتها بوسائل القمع والأذى.

أما المرأة العراقية فقد قامت بدورٍ واعي وفعال في ثورة تشرين -بحسب إمكانيتها- فالأمهات المرابطات في ساحة التحرير يقمن بإعداد الطعام والشراب للثوار الجياع، وتنظيف الساحة، والطبيبات المتطوعات يقمن بتضميد جراح الشباب كما ذكر سابقًا، والثائرات من جميع الفئات وحتى الطالبات يقفن خلف الثوار؛ لمساندتهم في مطالبهم المشروعة، مما يدعو إلى تكريم ما قامت به وما تزال جرافيتي يمثل المرأة العراقية الأنيقة ف(هكذا نسأؤنا) بحركة اليد المعبرة عن قوتها وصلابتها أمام الظروف.



6- أيقونة الثورة (ابن ثوة).

اختير الشاب صفاء السراي (1993-2019) الملقّب ب(ابن ثوة) قائدًا للثورة؛ يشحذ همة الثوار في ساحة التحرير ويوثق الأحداث بتغريدات وفيديوهات على مواقع التواصل الاجتماعي، فنشر آخر صوره في حديقة الأمة القريبة من الساحة، وفي عصر اليوم التالي الموافق لـ 28 تشرين استقرت قنبلة في رأسه، وكان خبر وفاته شديدًا على رفاقه، والشباب الذين عرفوه، وهتافهم يختلط بدموعهم "رافع رأسه يا ثوة ابنج"، متهيئون لإكمال الثورة بدونهم (موقع قناة الجزيرة، 2019، [دفع حياته من أجل قضية.. صفاء السراي أيقونة الثورة \(aljazeera.net\)](#)).

فأصبح يُعرف بأيقونة الثورة، وسارع الثوار لتخليد ذكره في أكثر من جرافيتي ومنها (ابن ثوة) في منتصف الرسمة خلفه شمس، يطل على العراق ليجد صاحب التكتك في الشارع يكمل مسيرته رافعاً علم العراق عاليًا.



البُعد الثالث: دراسة آثار

بعد أن وثق أكثر من جرافيتي أيقونة الثورة، قام بعض الأشخاص بتشويه الجرافيتي، وتدنيس قبره، وقبر والدته، وتمزيق صورته القريبة من قبره، ونشروا فيديوهات على مواقع التواصل الاجتماعي تشهّر به وتفضحه، في محاولة لتشويه صورته وصورة والدته في أذهان الثوار، لكن مدت أيدي العراقيين للدعاء له ولوالدته ولباقي الشهداء بالرحمة، والدفاع عنه دفاعاً مستميتاً في وسائل التواصل الاجتماعي، مع مسح التشويه عن الجرافيتي، وإعادة تركيب قبره، وأصبح الشباب يرفعون أعلاماً بيضاء فيها صورته، وبعضهم قام بارتداء تيشيرتات وتحتها هاشتاغ (ابن ثوة) (موقع قناة UTV على اليوتيوب، 2019، [إحراق قبر صفاء السراي يثير غضب منصات التواصل الاجتماعي YouTube](#))/(موقع يوتيوب، 2019، [إحراق قبر صفاء السراي يثير غضب منصات التواصل الاجتماعي YouTube](#)) من تخريبها من ناس بلا ضمير ولا رحمة YouTube).



أما من ناحية وسائل الإعلام فلم تهتم القنوات الحزبية مثل: قناة العهد وآفاق والعراقية وهنا بغداد وغيرها لثورة تشرين، حيث عرضت في أول يوم للثورة الساعة الرابعة عصرًا برامج متنوعة وكأنه يوم عادي كأي يوم يمر على العراقيين، في حين أن آلاف الثوار في الشوارع يقتلون ويجرحون جراء سلميتهم وهتافاتهم.

فاشتغلت مواقع التواصل الاجتماعي بأخبار الثورة، رغم قطع الانترنت في تلك الفترة؛ لضمان عدم نشر ما يحصل للعالم، لكن الثوار اعتمدوا على أنفسهم لتوثيق الأحداث ونشرها إلى العالم بثبيت برنامج VPN على هواتفهم. وبعد انتشار المقاطع والصور على المواقع، بدأت القنوات

تحليل الخطاب الاحتجاجي جرافيتي ثورة تشرين نموذجًا

الحزبية بتوثيق الأحداث فمثلاً ذكر مراسل قناة العهد أن ساحة التحرير شهدت إقبالاً ضعيفاً من قبل الثوار (موقع يوتيوب، 2019، [البشر شو الجمهورية | الحلقة العاشرة | 10 | العراق ينتفض](#) | YouTube).

وبعد أن عاد الثوار إلى منازلهم وكمّلوا مسيرهم السلمي في اليوم التالي، قام المراسلون في القنوات الحزبية بتوثيق مكان الثورة ليلاً ووصفها بأنها تظاهرة سلمية للمواطنين الباحثين عن عمل، ثم اتهموا الثوار بتخريب الممتلكات العامة وهذا - برأيهم - يدل على أن الثوار "مهندسين" و"جيوش إلكترونية"، وهدفهم العنف والتخريض، وأنهم قاموا بالاعتداء على القوات الأمنية، وشعاراتهم غير مفهومة وغير واضحة وأفعالهم لا تتوافق مع القانون، ولكن انتهت "التظاهرة" منذ أكثر من ساعة، ولم يبقَ "متظاهر" واحد، والآن الوضع مسيطر عليه بالكامل (موقع يوتيوب، 2019، [البشر شو الجمهورية | الحلقة العاشرة | 10 | العراق ينتفض](#) | YouTube/WppTFGK5oe4).

من الملاحظ في النشرات الإخبارية الاختيار المتعمد لساعات الليل المتأخرة؛ حتى لا تظهر عدم مهنية مراسليها في نقل الأحداث بصورة حقيقية، وعليه فلم تُصوّر الممتلكات التالفة وإنما وُجّهت الكامرة نحو مكان واحد. وكذلك وُصِفَ الثورة أنها سلمية ثم اتهم الثوار بأنهم مهندسين يدل على التناقض في نقل الأحداث، وبالتالي فما ذكره المراسلون غير دقيق وغير مهني تماماً؛ فتورّة تشرين لم تنتهِ وإنما قُصِمَت بالقوة، وكذلك فلم تكن للباحثين عن العمل فقط وإنما للباحثين عن الوطن لإعادته لأبنائه، بالإضافة إلى المطالبة بالحقوق المشروعة بالهتافات والوقوف للاحتجاج على سوء الخدمات، وتوثيق أحداث الثورة على جدران النفق باستخدام الألوان والدهانات وكلها طرق سلمية تدل على وعي الشعب وحبّه لوطنه.

كما أن اتهامهم للثوار بالتخريب والاعتداء على الأجهزة الأمنية غير مهني؛ فالكامرات وثقت تقرب أحد العراقيين الكبار في السن من أجهزة الأمن رافعاً العلم العراقي، فقاموا بضربه وإهانته حتى وقع أرضاً ولم يهن عليه أن ينزل العلم من يده فجعل يده طيلة الوقت مرفوعة لحماية العلم، ووثقت الكامرات -أيضاً- حماية الثوار لأحد أفراد الشرطة عندما ازدادت الإطلاقات النارية ومن هتافتهم "يا جيش يا سور الوطن لتصير ويا الظالم". في رسالة واضحة إلى أن القوات الأمنية هم جزء من الشعب.

على الرغم من عدم مهنية القنوات الحزبية في نقل الحقيقة إلا أن الثوار قاموا بإصدار جريدة "تكتك" و"إذاعة صوت ساحة التحرير" بإمكانيات المتطوعين المحدودة؛ لنقل أحداث حقيقية عن الثورة وما يحصل في العراق، وتشجيع الثوار على الصمود (موقع قناة الجزيرة، 2019، [صحيفة "تكتك" صوت المتظاهرين \(alarab.co.uk\)](#)).



وبعد صمود الثوار وثباتهم في ساحة التحرير بسلميتهم المعتادة، قدّم عادل عبد المهدي رئيس الوزراء السابق استقالته علناً أمام شاشات التلفاز بتاريخ 1-ديسمبر-2019 (موقع BBC News، 2019، [بعد استقالة عبد المهدي: إلى أين يمضي العراق؟](#)).

■ نتائج البحث:

كانت هذه محاولة متواضعة لتحليل الخطاب الاحتجاجي لجرافيتي ثورة تشرين عام 2019 بأبعاده الثلاثة، وقد توصلت الباحثة إلى نتائج عدّة :

1- تحليل الخطاب -بأبسط تعريفاته- يعني دراسة منهجية تعتمد على خطوات ثلاث؛ أولها معرفة السياقات المحيطة التي أدت إلى إنتاج النص، وثانيها محاولة تفكيك النص إلى مكوناته الأساسية من تراكيب وأنماط لغوية وغير لغوية ومقاصده الضمنية، وثالثها دراسة سياقات تداوله وردود أفعال المستمعين، وذلك من أجل الكشف عن أهداف ذلك الخطاب. - **والاحتجاج** يعني عملية سلمية يقوم بها فرد أو مجموعة من الأفراد باستخدام الهاتفات أو رفع الشعارات والصور أو استخدام الأدوات السلمية للتعبير عن رفضهم أو اعتراضهم على سياسة أو ممارسة أو قرار معين، ويُنظّم في ساحات عامة أو مكان محدد لجذب الانتباه إلى القضية المراد الاحتجاج عليها.

- أما **الجرافيتي** فهي لفظة تُعبّر عن الأعمال الفنية التي تجمع بين الرسم والكتابة على الجدران الخاصة أو العامة باستخدام أدوات معينة مثل بخاخ دهان أو قلم تعليم أو غيرها لإيصال رسائل سياسية أو اجتماعية ضمنية وقد تكون مسكوت عنها إلى المتلقي فرداً كان أو جماعة.

- وثورة تشرين تعني انتفاضة سلمية بدأت في الأول من تشرين / أكتوبر عام 2019م، قام بها الشعب العراقي احتجاجًا على الأوضاع السياسية والمعيشية السيئة التي شهدتها البلاد منذ عام 2003م.

2- وفيما يخص الظروف الخارجية فقد مرت مطالب الشعب بعدة مراحل بناء على رد فعل السلطة على سلمية الشعب حيث كانت المطالب بملاحقة الفاسدين في السلطة ومحاسبتهم، وتحسين الأحوال الاقتصادية والمعيشية والخدمات المقدّمة، ثم أصبحت المطالبة بالإسراع في تشكيل السلطة الجديدة، بعد ذلك المطالبة بإصلاح قانون الانتخابات، ومن ثم انتفض الشعب للمطالبة بتحسين الأوضاع المعيشية والخدمية مع توفير فرص العمل لهم، ولكن لاحظ الشعب أن في كل مرة يرفض الواقع المعيشي ويطالب بحقوقه المشروعة بكل الطرق السلمية المعتادة من ورود وأعلام وهتافات ولافتات يقابل بنفس الأساليب القمعية؛ لتفريق صفوفه بالقوة، مما أشعرهم -بعد سنوات- من هذا التعامل أنهم ليسوا أبناء هذا الوطن، فتركوا جميع مطالبهم السابقة وأصبحوا يطالبون بإسقاط النظام كليًا وإرجاع الوطن للعراقيين وسيتكفل العراقيون بحمايته وإعمارهم، ومن هنا بدأ العراقيون بابتكار طريقة جديدة أكثر سلمية لمواجهة قوات الشغب وهي رسومات الجرافيتي التي خلدت أحداث الثورة حتى الآن، فضلًا عن استخدام الورود والأعلام والهتافات، إلا أن الشغب عاملهم بنفس الأساليب القمعية السابقة.

3- غلب على رسومات الجرافيتي تكرارًا لحزمة من الظواهر وإن كانت تختلف في كل رسمه

إلا أن هذا التكرار يدل على إصرار الشعب وتأكيد على مجموعة من الأفعال والأفكار التي يؤمن بها بكافة الطرق السلمية مما يؤكد وعيهم وحبهم لوطنهم. على النحو التالي:

- تتدرج الرسومات تحت الخطاب السياسي وموضوعه الرئيس هو (البحث عن وطن) ودليل ذلك أن الكلمات المستخدمة في الجرافيتي غلب عليها اللون الأحمر ثم الأخضر يليه الأسود والأبيض، وهذه تمثل ألوان العلم العراقي. أما الموضوع الفرعي فيتلخص في (إسقاط الأحزاب المعادية للوطن)، مبتعدين عن ذكر الموضوعات المسكوت عنها أو الضمنيّات مثل استعمال ألفاظ الشتم للرموز الاجتماعية أو الدينية في الجرافيتي.

- ركّز الشباب على كتابة مجموعة من الشعارات -جنبًا إلى جنب مع الرسومات- باستخدام مستويين من مستويات اللغة هما: المزج اللغوي، وتحويل الشفرة اللغوية؛ ليكون للخطاب عمقه ومعناه المؤثر في المتلقين.
- تنوعت طرق الأداء في ساحة التحرير؛ فمن الثوار من قام بتوثيق الأحداث وتسليط الضوء على الانتهاكات، وإرسالها عبر وسائل التواصل الاجتماعي، ومنهم من يغطي وجهه بخرقه أو لثام أو قناع؛ لحماية نفسه من الغازات السامة، وبعضهم الآخر لا يهتمهم الغازات فلا يغطي وجهه، ويرتدون ملابس بسيطة؛ تثيرت وبنطال، وبعضهم يرتدي البنطال فقط ويظهر الجزء العلوي من جسمه، ومنهم من يحمل حقيبة على ظهره ومنهم دونها. ولحماية أنفسهم يقومون بالكر والفر والقفز والدوران. وحركاتهم المتناغمة تدل على وعيهم وحُبهم لوطنهم. تتعاون مجموعة أخرى على إخماد الدّخانيات. والبعض الآخر يقوم بتنظيف الشارع من مخلفات القنابل والرصاص، ومسح الدماء، وآخرون يقومون بمساعدة الثوار الذين تأثروا بالقنابل المسيلة للدموع، ومنهم من ثبت في طوابق "جبل أحد" ليكون بمثابة برج مراقبة وقلعة يحتمي بها، وفي الجهة المقابلة القريبة من الساحة متطوعون ومتطوعات من الكادر الطبي مهمتهم تضديد جراح المصابين، وتشجيعهم للبقاء على قيد الحياة، وعندما تكون حالة أحد المتظاهرين خطيرة والدماء تنزف منه يتزاحم أصحاب السيارات الصغيرة "التكتك" لنقله إلى المستشفى تطوعًا. ثم يقوم الشباب برسم جرافيتي يوثق الحدث الاحتجاجي في النفق.
- استعمل الشباب في الجرافيتي التوازي الصوتي؛ لإيصال فكرة للعالم عن الذات (الشعب العراقي) في مقابل الآخر (قوات مكافحة الشغب والسلطة) باستعمال ضمير (نحن) في مقابل (أنتم) ضمنيًا، وهذا ما يلاحظ بين كلمة شغب يمينًا بمواجهة شعب يسارًا، وتوضيح ما يفعله كل منهما في هذا الوطن.
- قام الثوار بإظهار مكانة الطبقة المهمشة الحقيقية في المجتمع، فلا تكاد رسمة تخلو من التكتك أو المرأة العراقية.
- أصبح (ابن ثنوة) أيقونة ثورة تشرين لدوره القيادي الذي قام به، حيث كان يشحذ همة الثوار في ساحة التحرير، ويوثق الأحداث بتغريدات وفيديوهات على مواقع التواصل الاجتماعي.
- 4- يمكن تلخيص أبرز الاستجابات فيما يلي:

تحليل الخطاب الاحتجاجي جرافيتي ثورة تشرين نموذجًا

- تشويه جرافيتي أيقونة الثورة (ابن ثنوة)، بالإضافة إلى تدنيس قبره، وقبر والدته من قبل أشخاص مجهولين ليعطوا رسالة أنهم ضد ثورة تشرين، إلا أن شباب الثورة قاموا بتعديل جميع الرسومات المشوهة، وترميم قبره، وقبر والدته.

- وثقت القنوات الحزبية أحداث ثورة تشرين بطريقة غير مهنية؛ فالمراسلون يصورون الساحة في ساعات متأخرة من الليل ليبينوا أنها ثورة بسيطة ووقتية، واتهامهم الثوار بأنهم مندسون ومخربون للممتلكات العامة وأنهم قد اعتدوا على القوات الأمنية، وأن من يقوم منهم بنشر الأحداث على مواقع التواصل الاجتماعي فهو يحرض على الكراهية والفساد، وهذا كلام غير دقيق.

- ردًا على عدم مهنية القنوات الحزبية قام الثوار بإصدار جريدة "تكتك" وإذاعة صوت ساحة التحرير "بإمكانات المتطوعين المحدودة؛ لنقل الأحداث، وتشجيع الثوار على الصمود؛ وهذا يدل على وعي العراقيين بأهمية الكلمة الحرة، ولفت انتباه العالم لما يجري في الساحة بطريقة حضارية.

- ومن أهم الاستجابات -من وجهة نظر الباحثة- هي تقديم عادل عبد المهدي رئيس الوزراء السابق استقالته علنًا أمام شاشات التلفاز بتاريخ 1-ديسمبر-2019.

■ التوصيات:

بناء على ما تقدم توصي الباحثة بضرورة الاهتمام بتحليل الخطابات الاحتجاجية في العراق، بالإضافة إلى تحليل تغريدات أيقونة الثورة (ابن ثنوة)، واللافتات التي رُفعت على مبنى المطعم التركي، وكذلك أخبار جريدة "التكتك" والإذاعة في تلك الفترة؛ نظرًا لأهميتها في فهم طبيعة الأحداث المتسارعة في البلد.

■ المصادر والمراجع:

القرآن الكريم. برواية حفص عن عاصم.

أولاً: المصادر والمراجع العربية:

1. ابن منظور. (د.ت). لسان العرب. (د.ت). دار صادر: بيروت.

2. بوقرة، نعمان. (2009). المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب. (ط1) جدارا للكتاب العالمي : الأردن.
3. الحربي، فرحات. (2000). الأسلوبية في النقد العربي الحديث. (ط1). المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع: لبنان.
4. خالفي، حسين. (2011). البلاغة وتحليل الخطاب. (د.ط.). دار الفارابي: بيروت.
5. الزمخشري. (1998). أساس البلاغة. (ط1). تح: محمد باسل عيون السود. دار الكتب العلمية: لبنان.
6. الزيناني، عبد العاطي. (2017). في تحليل الخطاب: مداخل أولية للفهم والتأويل. (د.ط.). منشورات مقاربات للنشر والثقافة : المغرب.
7. السامرائي، محمد فاضل. (2013). الصرف العربي أحكام ومعاني. (ط1). دار ابن كثير : لبنان.
8. سليم، أحمد. (2012). جرافيتي شاهد على الثورة. (د.ط.). دار أخبار اليوم : القاهرة.
9. الشاوش، محمد. (2001). أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية. (ط1). المؤسسة العربية للتوزيع : تونس.
10. طانيوس، ريتا. (2010). إنه اللون -دراسة تحليلية لخصائص وتأثير اللون في الطبيعة وفي سلوكنا وحياتنا اليومية. (ط1). دار الخيال: بيروت.
11. الطبري، محمد بن جرير. (د.ت). تفسير الطبري. (د.ط). تح: عبد الله التركي. دار هجر للطباعة والنشر: السعودية.
12. عبد اللطيف، عماد. (2020). تحليل الخطاب السياسي البلاغة السلطة المقاومة. (ط1). دار كنوز المعرفة: الأردن.
13. عبيد، كلود. (2013). الألوان -دورها، تصنيفها، مصادرها، رمزياتها، ودلالاتها. (ط1). مراجعة وتقديم: محمد حمود. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع: بيروت.
14. الفراهيدي، الخليل بن أحمد (د.ت). كتاب العين. مج1. تح: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي. سلسلة المعاجم والفهارس، دار ومكتبة الهلال.

تحليل الخطاب الاحتجاجي جرافيتي ثورة تشرين نموذجًا

15. المتوكل، أحمد. (2001). بنية الخطاب من النص إلى الجملة. (ط1). دار الأمان: الرباط.

16. يقطين، سعيد. (2005). تحليل الخطاب الروائي. (ط4). المركز الثقافي العربي : المغرب.

ثانيًا: المراجع المترجمة إلى العربية:

1. جونزالس، مايك (د.ت). كارل ماكس النظرية والممارسة. (د.ط). تر: ضي رحمي وأشرف عمر. وحدة الترجمة - مركز الدراسات الاشتراكية.

2. فوكو، ميشيل (2010). نظام الخطاب. (د.ط). تر: محمد سبيلا. دار التنوير.

3. فيركلف، نورمان (2016). اللغة والسلطة. (ط1). تر: محمد عناني. المركز القومي للترجمة : القاهرة.

4. مكدونيل، ديان. (2001). مقدمة في نظريات تحليل الخطاب. (د.ط). تر: عزالدين اسماعيل. المكتبة الأكاديمية: القاهرة.

5. ميلز، سارة. (2016). الخطاب. (ط1) تر: عبد الوهاب علوب. المركز القومي للترجمة : القاهرة.

ثالثًا: المراجع الأجنبية:

1. Mazraani, N. .(1997). **Aspects of Language Variation in Arabic Political Speech-making**. Curzon Press : London.

رابعًا: المجلات المحكمة:

1. الريامي، علي بن حمد بن علي. (2019). تحليل الخطاب : المفهوم والمنهج. (مج9). (ع2). مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات : الزقازيق.

2. راشدي، حسان. (2013). بول ريكور والترجمة : الترجمة وظيفة إنسانية. (ع31). مجلة التواصل في اللغات والثقافة والآداب، جامعة سطيف2: الجزائر.

3. داود، وفاء علي. (2013). التأصيل النظري لمفهوم الثورة والمفاهيم المرتبطة بها. (ع49). مجلة الديمقراطية : مصر.

خامسًا: الرسائل والأطروحات:

1. عبد النور، زيام.(2013 – 2014). الاحتجاجات الشعبية في شمال إفريقيا وتأثيرها على عملية التحول الديمقراطي : دراسة حالة مصر 2011-2013. كلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية : جامعة الجزائر.

سادسًا: المواقع العربية والأجنبية:

1. موقع أكسفورد، معنى كلمة Analysis، OxfordLearnersDictionaries.com
2. موقع Online Etymology Dictionary، تأصيل كلمة Discourse، discourse | [by etymonline](http://by.etymonline)
3. موقع أكسفورد، معنى كلمة Protest، protest|OxfordLearnersDictionaries.com
4. موقع أكسفورد، كلمة graffiti، graffiti | OxfordLearnersDictionaries.com
5. موقع وبستر، كلمة Graffito، [Graffito |Webster \(merriam-webster.com\)](http://Graffito |Webster (merriam-webster.com))
6. موقع ريفرسو كونتاكت، كلمة graffiti، graffiti - | Reverso Context
7. مدونة هيفاء علي، 2011، اتجاهات معاصرة: الفن الجرافيتي، [\(haifaali.blogspot.com\)](http://(haifaali.blogspot.com))
8. موقع جريدة المدى، 2016، غرافيتي في شوارع بغداد للتعريف برموز الثقافة العراقية، [\(almadapaper.net\)](http://(almadapaper.net))
9. موقع أكسفورد، معنى كلمة Revolution، revolution | OxfordLearnersDictionaries.com
10. موقع قناة الجزيرة، 2015، مظاهرات العراق.. ثورة على دولة المحاصصة [\(aljazeera.net\)](http://(aljazeera.net))
11. قناة الاتجاه على اليوتيوب، 2016، مشعان الجبوري: كلنا فاسدون YouTube
12. موقع قناة BBC عربي، 2016، مظاهرات حاشدة في بغداد وترقب لجلسة حاسمة في البرلمان
13. موقع BBC عربي، 2018، الآلاف يتدفقون إلى شوارع بغداد ومدن الجنوب
14. موقع يوتيوب، 2019، المشكلة مشكلة وطن مسألة وطن العراق ينتفض - YouTube
15. موقع DW عربية، 2019، العراق. تواصل المظاهرات | أخبار DW عربية

16. موقع يوتيوب، 2019، [صرخة أحد أبطال العراق أموت شهيد ولا مذلول](#)
17. موقع قناة RT العربية، 2019، [ما قصة "المطعم التركي" أيقونة الاحتجاجات العراقية؟](#)
18. WOLFF، 2003، [Karl Marx \(Stanford Encyclopedia of Philosophy\)](#)
19. موقع قناة الجزيرة، 2019، [دفع حياته من أجل قضية.. صفاء السراي أيقونة الثورة \(aljazeera.net\)](#)
20. موقع قناة UTV على اليوتيوب، 2019، [إحراق قبر صفاء السراي يثير غضب منصات التواصل الاجتماعي YouTube](#)
21. موقع يوتيوب، 2019، [إعادة رسم صورة صفاء سراي بعد من تخريبها من ناس بلا ضمير ولا رحمة](#)
22. موقع يوتيوب، 2019، [البشر شو الجمهورية | الحلقة العاشرة | 10 | العراق ينتفض YouTube](#)
23. موقع قناة الجزيرة، 2019، [صحيفة "تكتك" صوت المتظاهرين \(alarab.co.uk\)](#)
24. موقع BBC News، 2019، [بعد استقالة عبد المهدي: إلى أين يمضي العراق؟](#)